مجلة أنساق للفنون والآداب والعلوم الإنسانية
الإصدار السابع
المجلد (٣) العدد (٢)
٢٠٢٢ (٤٩٩-٥١٠)

السِيمْيائية عِلم الْعَلامَات

منال بنت سلطان تركستاني

This work is licensed under a Creative Commons Attribution-NonCommercial 4.0 International License.

نشر إلكترونياً بتاريخ: ١٧ يونية ٢٠٢٢

*** المقدمة**

يُعد " دي سوسير " هو من أرسى أصول اللسانيات الحديثة وذلك في القرن العشرين، التي كانت تعتمد على المنهج الوصفي والثنائيات، ثم تطورت شيئًا فشيئًا فأصبحت لها أفكار، وأصبحت لها نماذج فطُورت وأثرت بمنهجيتها في الدراسات الإنسانية إلى حد استطاعت أن تبني نقدًا معاصرًا بنيويًا يؤثر في الدراسات الإنسانية، هذا النقد البنيوي ركز على محورين أساسيين وهما : الجانب السردي، والجانب السيميائي ، وما يعنينا في هذا البحث الجانب السيميائي ، "علم السيمائيات" هو علم يُعنى بدراسة العلامات، وبهذا عرفها ، السويسري "فريناد دي سوسير" ، و"جورج مونان، و" كريستيان ميتز" و" تودروف" فالسيمائية تدرس العلامات و أنساقها سواءً كانت (علامات لسانية، أو علامات غير لسانية)؛ لأن للعلامات أهمية كبرى في تحقيق التواصل و تبادل المعلومات ، وربما نجد في بعض الكتب مصطلح السيمولوجيا بدلًا من السيمائية ، وهما مصطلحان لعلم واحد، ونشأ ذلك بسبب الازدواجية فقد شهد علم السيمياء ولادة أوروبية على يد "دي سوسير" وولادة أمريكية على يد"بيرس" فالأمريكيون يستعملون " السيمولوجية " والفرنسيين والأوربيين وغيرهم يستعملون مصطلح السيميائية.

وبعد هذا الطرح، فموضوع البحث المتناول " المنهج السيميائي " ومما وقفت عليه من خلال الاستقراء في المنهج السيميائي يسعى هذا البحث إلى تسليط الضوء على:-

١- تعريف السيمياء لغةً واصطلاحًا.

٢- التطرق لبوادر السيمياء في التراث العربي القديم.

٣- الكشف عن نشأة علمي السيمياء، والسبميولوجيا.

٤- معرفة الاتجاهات الرئيسية لعلم السيمياء.

إن من أهم الإشكالات التي ظهرت في المنهج السيميائي يتجلى بالأساس في تداخل المصطلحات وتشعبها واختلاف مضامينها؛ باعتبار أن موضوع السيميائية كبير ومتشعب يشمل جميع جوانب الحياة الإنسانية، ولذلك حاولت أن أُجيب من خلال هذا الموضوع على بعض التساؤلات، والتي تتمثل في تساؤلات البحث: -

١- ما سبب ظهور مصطلحي "السيمياء والسيميولوجيا" لعلم واحد؟

٢- ما الفرق بين السيميولوجيا عند "دي سوسير " والسيميائية عند "بيرس"؟

٣- إلى كم قسم انقسمت الدراسات السيميائية؟

٤- ما هي خصائص المنهج السيميائي، ومجالات التطبيق اليسميولوجي؟

ومن الدراسات السابقة التي تطرقت للمنهج السيميائي:-

١- المصطلح السيميائي بين الفكر الغربي والفكر العربي، (إعداد الطالبة: ليلى فالي، لنيل شهادة الماجستير، في جامعة محمد بو ضياف بالمسيلة، كلية الآداب واللغات، السنة الجامعية: 1436/ 1437ه)، ومن أهم الموضوعات التي تناولتها، " المصطلح السيميائي"، " وأهم اتجاهاته"، و " تعدد التسميات"، وتطرقت لـــ ‘‘السيميائية وملامحها العربية " و " العرب والسيمياء"، و " الأصول الغربية للسيمياء وفوضى نقل المصطلح إلى العربية " وذكرت عدة نماذج للمنهج السيميائي الغربي.

٢- " السيميائية: أصولها ومناهجها ومصطلحاتها " (للدكتورة: سعدية موسى عمر البشير، ورقة علمية مقدمة لجامعة السودان للعلوم والكتنولوجيا، كلية اللغات، قسم اللغة العربية) ومن أهم الموضوعات التي تناولتها: تعريف المصطلح جهود العرب في هذا المجال، هدف السيميائية وأصولها الفلسفية، مبادئ السيميائية، المدارس والاتجاهات، السيمياء واللسانيات العربية المعاصرة، أعلام الغربيين، السيميائية واللغة، واستخدامات السيميائية، والمصطلحات السائدة في السيمائية، والتداولية وعلاقتها بالسيميائية.

ومن خلال دراستي للموضوع: اتبعت المنهج الوصفي التحليلي فيظهر ذلك بالبحث عن معرفة أسباب ظهور وإرهاصات المنهج السيميائي على يد "دي سوسير" ووصف المنهج السيميائي والسيميولوجي، وما هي التطورات التي جعلته منهجًا قائمًا بذاته عند الفيلسوف "شارل سندرس سبيرس" باعتباره المؤسس الحقيقي لهذا العلم.

* **التمهيد**

* **تعريف مصطلح "السيمياء" لغةً واصطلاحًا**

* **معنى السيمياء لغة**

"سوم": ورد في لسان العرب لابن منظور: السَّوْمُ: عَرْضُ السِّلْعَةِ على البيع. الجوهري: السَّوْمُ في المبايعة يقال منه ساوَمْتُهُ سُواماً، واسْتامَ عليَّ، وتساوَمْنا، المحكم وغيره: سُمْتُ بالسلْعةِ أَسومُ بها سَوْماً وساوَمْت واسْتَمْتُ بها وعليها غاليت، واسْتَمْتُه إِياها وعليها غالَيْتُ، واسْتَمْتُهُ إِياها سأَلته سَوْمَها، وسامَنيها ذَكَرَ لي سَوْمَها.

ورد في لسان العرب أيضًا: أن "السومة " و "السيمة" و "السيمياء"، بمعنى: "العلامة" وسوم الفرس جعل عليه السيمة وقيل: الخيل المسومة هي التي عليها السيماء، والسومة: هي العلامة، [1] وورد ذلك في القرآن الكريم في عدة مواضع منها: قوله تعالى: **{تعْرِفُهُم بِسِيمَاهُمْ لَا يَسْأَلُونَ النَّاسَ إِلْحَافًا}** [البقرة: (273)] وقوله تعالى: **{وَنَادَى أَصْحَابُ الأَعْرَافِ رِجَالا يَعْرِفُونَهُمْ بِسِيمَاهُمْ}** [الأعراف: (48)].

اصطلاحا: فالمصطلح السيميائي في أبسط تعريفاته وأكثرها استخداما " نظام السمة أو الشبكة من العلامات النظمية المتسلسلة وفق قواعد لغوية متفق عليها في بنية معينة" [2].

*** نشأة السيميائية**

أولاً– بوادر السيميائية في التراث العربي القديم

من خلال البحث في التراث العربي القديم نجد دراسات مختلفة ومتباينة في شتى العلوم والمعارف، وهناك إشارات مبعثرة ومتناثرة في بطون تلك الكتب في مختلف العلوم، كعلم النحو، وعلم البلاغة وعلم التفسير وعلم التصوف وغيرها من العلوم الأخرى، تدل على وجود علم "السيمياء" فعلم السيمياء ظهر واضح الملامح قديمًا عند العرب في علم الدلالة، وعلم اللغة، والفلسفة والبلاغة، فهو علم ليس وليد العصر الحديث كما يزعمون، بل هو علم قديم اهتم به العرب، وتبين لنا ذلك من دراسات العرب القدامى من خلال اهتمامهم لكشف العلاقة بين الكلمة ومعناها، أي بين الدال والمدلول، و أن للأصوات اللغوية لها خواص تعبيرية تدل عليها، وبالتالي ظهر عندهم "علم أسرار الحروف"، أي ما يسمى بعلم "السيمياء" حديثًا وتعددت الدراسات بصدد هذا العلم،(كدراسة الحاتمي ، والبوني ، وابن خلدون ، وابن سيناء ، والفارابي والغزالي، والجرجاني وغيرهم).[3]

وظهرت السيميائية كذلك في النقد العربي عن طريق الترجمة والثقافة والاطلاع على الإنتاج الأدبي الأوروبي، ومن أهم روافد السيميائية التي كانت تصب في النقد العربي، الرافد الأول : "بيرس" في الثمانينات وذلك لوجود الصلة بين جهود العرب القدامى في البحث الدلالي، وما جاء به" بيرس" في البحث عن العلامة، حيثُ أن كلاهما يوظفان المنطق في الاستدلال على تلك العلامات أو الرموز، كانت الركائز عند الناقد العربي تقوم على ثلاثية الموضوع وهي: الإشارة، والرمز، والأيقونة أما الرافد الثاني : فكان متمثلًا في "جوليا غريماس" الذي أشتهر بالمربع السيميائي ونظرية العامل،

[1] ينظر: لسان العرب، ابن منظور، (ساوم)، ط4، دار صادر، بيروت ،2005، ص 309/308.
[2] سيميائية الصورة، قدور عبد الله الثاني، ط1، دار الغرب للنشر والتوزيع، الجزائر، 2005م، ص51.
[3] بتصرف: علم السيمياء التراث العربي، د. بلقاسم دفّة، العدد (91) . (رجب). (سبتمبر) 2003م.

فاعتمدت عليها الدراسات النقدية العربية السيميائية وذلك لشيوع منهجه عالميًا، وبعده عن التعسف في طرح جزيئات هذه النظرية. [4]

ثانياً– السيميولوجيا عند دي سوسير

فكلمة سيمياء ترجع إلى "السميوطيقيا " أي" السيميولوجيا" وهي (علم العلامات) أما السيميولوجيا فهو يرجع إلى "دي سوسير" عندما قال: "من الممكن تصور قيام علم يدرس حياة العلامات داخل المجتمع "وسماه سيميولوجيا من الكلمة اليونانية التي تعني "العلامة" ويكشف عما يُشكل العلامات وعن القوانين التي تحكمها. فأول من أشار إلى ولادة علم جديد يدرس العلامات من خلال الحياة الاجتماعية هو "دي سوسير" ولقد رفض الفكرة التي ترى في اللغة أنها كومة من الكلمات التي تتراكم تدريجيًا؛ لتؤدي وظيفة أولية هي الإشارة إلى الأشياء في العالم، فالكلمات ليست رموزاً تتجاوب مع ما تشير إليه، بل علامات مركبة من طرفين متصلين: الطرف الأول فهو الإشارة وهي ما عبر عنه بـــ(الدال)، والطرف الثاني هو(المدلول) أو المفهوم المرتبط بهذه الإشارة، ويمكن تمثيل الفكرة التي يرفضها دي سوسير على النحو التالي : الرمز =الشيء، وذلك مقابل الفكرة التي يؤكدها، وهي: دال + مدلول = العلامة . فاللغة لا تكتسب معناها نتيجة الصلة بين الكلمات والأشياء، بل نتيجة كونها أجزاء في نسق من العلامات، وبينهم أيضًا علاقة اعتباطية؛ لأن اللغة تحكمها علاقتان: العلاقة الأفقية بين العناصر اللغوية، والعلاقة الرأسية أي المستوى العامودي للغة الذي يوجد العلاقات المختلفة بين كلمات النمط الواحد.

فالدال عند "دي سوسير " هو البعد الحسي، والمدلول هو البعد التصويري، وكانت لنظرية "دي سوسير" أثر كبير في نظرية الأدب في القرن العشرين، فقد حاول أن ينتقل من الدراسة التاريخية للغة إلى الدراسة التزامنية؛ أي النظر إلى اللغة بوصفها ضمن مستوى زمني واحد. فظهرت "السيميولوجيا" واستعملت وانتشرت في الثقافة الأوروبية على المستوى التاريخي والمعرفي.

وأضاف "دي سوسير" إلى أن اللُغة تتألف من إشارات مزدوجة؛ أي ذات وجهين وعلى ذلك فإن موضوع السيمياء عند "دي سوسير" هي العلاقة من حيث كنهها وطبيعتها، وكذلك الكشف عن القوانين المادية والنفسية التي تحكمها، إذن فالعلامة عند "دي سوسير" وحدة نفسية ذات وجهين مرتبطين ارتباطًا وثيقًا ويتطلب أحدهما الآخر، والوجهان هما: التصور والصورة السمعية والتأليف بينهما يعطينا الدليل الذي يكشف عن: الدال والمدلول، وبالجمع بينهما يتكون المعنى. ومن الذين ساروا على نهج "دي سوسير"، "روبرت شولز" حيث قال: .بما أن علم السيمياء هو دراسة الشفرات والأوساط فلابد أن نهتم بالأيدلوجية،

[4] ينظر: الاتجاه السيميائي في نقد السرد العربي الحديث، محمد فليح الجبوري، ط1، الجزائر، 2013م، ص 161/ 162.

وبالبنى الاجتماعية والاقتصادية وبالتحليل النفسي وبالشعرية، وبنظرية الخطاب. [5]

ثالثاً– السيميائية عند "شارل ساندرس بيرس"

إذا كان "دي سوسير" أصل النظرية السيميولوجية، فإن "بيرس" أصل المنطق السيميائي، فقد كان فلكيًا وفيلسوفًا لذلك جاءت سيميائيته تحمل وظيفة فلسفية منطقية، التي تميزت بالاستمرارية، والواقعية، والتداولية، فهو يرى بأن السيميائية "نشاط معرفي شامل يهتم بكل ما تنتجه التجربة الإنسانية عبر مجمل لغاتها ومن خلال كل أبعادها، فهي رؤية للعالم تتلخص في النظر إلى الوجود الإنساني من خلال وضعه باعتباره علامة في الكون، بل أن الكون ذاته ليس كذلك إلا في حدود اشتغاله كعلامة، فكل ما فيه من أشياء وكائنات وطقوس، وأوهام ، وحقائق يشتغل كعلامة ويتسلّل إلى الوجود الإنساني باعتباره كذلك حيث "أن الإنسان علامة، وما يحيط به علامة، وما ينتجه علامة، وما يتداوله هو أيضًا علامة، والخلاصة لا شيء يفلت من سلطان العلامة " إذن مفهوم العلامة عند "بيرس" يتشكل عند المقولات الثلاث التي حددها في نظريته ؛فهي تشتغل باعتبارها بناء ثلاثيا يشتمل على الأول يحيل على ثانٍ عبر ثالث ضمن دورة مستمرة لا تتوقف عند حد بعينه.

فالأول: هو تمثيل عام ومجرد، وتكمن في (العلامة)، والثاني: المعطى الخارجي يقصد بـــ (الموضوع)، في حين يتشكل الثالث: وهي حالة التوسط الإلزامي الذي يضمن للعلامة صحتها وهو(المؤول). هذه النظرية جعلت "بيرس" يتميز عن غيره فهو يُعنى بدراسة نظام محدد من أنظمة التوصيل من خلال علاماته وإشاراته الخارجية كما أنه يُعنى بدراسة الدلالات والمعاني أينما وجدت وخصوصًا في النظام اللغوي، فدراسة الشفرات؛ أي الأنظمة، هي التي تمكن من فهم بعض الأحداث، وهذه الأنظمة هي أجزاء أو نواحٍ من الثقافة الإنسانية. [6]

*** أقسام علم السيميائية**

أولاً– السيميائية اللُغوية

من خلال التطرق لمفهوم السيميائية عند "دي سيوسير" وعند "بيرس" يتضح لنا أن السيميائية تنقسم إلى قسمين: السيميائية اللغوية، والسيميائية الغير لغوية، ربما أدى ذلك بسبب تطورها وفرض تطبيقاتها على مختلف مظاهر الحياة، وسأعرض ذلك بإيجاز:

السيميائية اللُغوية: وهي تتمثل في أشكال لسانية ومن أهمها: "الصوتيات" (الفونولوجيا)، وهي من أهم الدراسات السيميائية اللسانية، فهي تهتم بأصوات اللغة (الفونيمات) والتنسيق بينهما، يقول "برنار توسان":

[5]بتصرف: مفهوم علم السيمياء، للدكتورة جهاد يوسف عرجا، (الاثنين 16مايو 2011م).
.https://terkiya.yoo7.com/t3663-topic

[6] منتدى دراسات علوم اللسان العربي، 2016م.

الفونولجيا تمكنت من وضع أشياء جديدة منها تصنيف الأصوات، وربطها بمجموعات خاصة، وبالتالي إحصاء الإمكانيات التركيبية للفونيمات، ولذلك عُدت الصوتيات ضرورية لأنظمة التواصل، ومن مظاهرها: التركيب، والتصريف، والدلالة. [7]

ثانياً– السيميائية الغير لُغوية

يُعدّ هذا المجال أوسع من السيميائيات اللغوية، فهي تختص بالحواس الخمس: السمع، والبصر، والذوق، والشم، واللمس.[8]

فالعلامة الشمية: تعتبر إحدى مجالات التواصل والإخبار، فحاسة الشم تجعل الإنسان قادر على شم مختلف الروائح التي يلتقطها لتصنيفها ومعرفتها وإعطائها دلالة إجتماعية إيدلوجية ثقافية خاصة، فحاسة الشم تساعدنا على التمييز بين الروائح الجيدة والرديئة. وبالتالي غياب حاسة الشم عند الإصابة (بالزكام مثلًا) تجعلنا نشعر وكأننا مغيبون عن جزء من عالمنا الخارجي. [9]

العلامات اللمسية: هذا النمط من التواصل قليل الاستعمال في العلاقات الإنسانية، إلا أنه يستعمل كبديل للبصر مثل قراءة المكفوف الذي فقد حاسة البصر فتكون قرأته بحاسة اللمس وهي (قرأت برايل).[10]

العلامات الذوقية: وهي الغريزة الفموية، يحددها "ليفي ستراوس" في تحديد الوحدة الذوقية الدنيا أي الدالة وذلك بواسطة أنظمة تعارضات، داخل تصنيف المعطيات الذوقية (حلو، مالح،).[11]

العلامات الإشارية: هي علامات لها أهميتها في حياتنا اليومية إذ تستعمل كبديل للكلمات الفاحشة والكلمات البذيئة، وأيضًا كبديل للكلام بالنسبة للصم والبكم، وربما في حال عجزنا لوصف شيئًا ما بلغة أجنبية، فنشير إليها، إذن فجميع الثقافات لديها هذا النوع من اللغة.

العلامات السمعية: السمع هو الحاسة الثانية المستعملة في سلم الحواس بعد البصر، وهي مقسمة لثلاث أصناف: الظواهر الفضة، مثل الأصوات العالية المزعجة، وثانيها: الأصوات الطبيعية، الضوضاء المحيطة بنا كرنين الهاتف وما شابه، وثالثها الأصوات الموسيقية المُنجزة بواسطة الإنسان.

العلامات البصرية (الأيقونية): تعد الدراسات الأيقونية من أهم الدراسات السيميولوجيا بعد اللغة، فالأيقونية: "هي حصيلة مجموعة من الإجراءات الخطابية التي تستند إلى التصور، وهو تصور نسبي على كل حال الذي تتبناه ثقافة من أجل تقطيع الواقع " فالصورة ذات طبيعة مسننة، إذ هي عبارة عن تمثيل واقعي ينتقل إلى الذهن ليترسخ فيه الموضوع، لكن علينا تقنيته وتحديده حتى

[7] بتصرف: دروس في السيميائيات، حنون مبارك، دار طوبقال للنشر، الدار البيضاء، المغرب، ط1، 1987م، ص71.
[8] ينظر: معجم السيميائيات، فيصل الأحمر، ص73.
[9] ينظر: ماهي السيمولوجيا، برنار توسان، ص 21/ 24.
[10] ينظر: معجم السيميائيات، فيصل الأحمر، ص75.
[11] المرجع السابق، ص26.

نتعرف على هذا الموضوع وهي حاملة للدلالة والتواصل والتمثيل ".[12]

ثالثاً– لاتجاهات السيميائية

إن تنوع الأبحاث في مجال السيميائية في الإطار الفلسفي والتواصل بين الموجود والوجود، وبين النظام والوظيفة، وبين الدلالة والسياق، وبين المادة والماهية، فتَصفت المسيرة السيميائية بتسلسل معرفي ونقدي الذي يقابل التأمل بالتحليل والنسق بالتأويل، وعليه فقد انقسمت السيميائية المعاصرة، إلى اتجاهات رئيسية وهي: –

١– سيمياء التواصل: ظهرت مع أبحاث "إريك بوسنس" وذلك في تحديده لدراسة أنساق التواصل المتمثلة في الوسائل المستعملة للتأثير في الآخر وهي معروفة لديه، وسيمياء التواصل تعتمد على مبدئيين أساسيين هما: أ– توفر القصد في التبليغ لدى المتكلم، ب– اعترافُ متلقي الرسالة بهذا القصد. وتتم معرفة مقياس القصد في التبليغ من خلال التمييز بين نوعيين من الوحدات هما : أ– الوحدات التي من أجلها يتوفر القصد للتبليغ تسمى "أدلة"،ب– الوحدات التي ينعدم فيها القصد في التبليغ تسمى "إشارات"، فسيمياء التواصل إذن لا تهتم إلا بالأدلة بوصفها قناة الاتصال بين المرسل والمتلقي، أما الإشارات فهي تستبعدها عن مجال اهتمامها حتى ولو أثرت في الآخر بما أنها غير مقصودة ، فالقصدية من التواصل ، هي الميزة الفارقة بين الوظيفة التواصلية، عن الوظيفة الدلالية ومعتمدة على الأدلة باعتبارها أداة التواصل بين المرسل والمرسل إليه .[13]

٢– سيمياء الدلالة: اهتمت سيمياء الدلالة بما أهملته سيمياء التواصل، فقد اهتموا أصحاب هذا الاتجاه بالجانب الدلالي للعلامة حيث يؤكد "رولان بارث" بأن إمكانية التواصل قد تتوفر سواء بمقصدية أم بغير مقصدية، وبكل الأشياء الطبيعية والثقافية سواء اعتباطية أو غير اعتباطية، فعملية التواصل لا محال واقعة، لذ آمن بأن وحدة النص لا تكمن في مقصد المؤلف بل في بنية القصيدة، فنادى حينها بموت المؤلف، ورأى أن القراء أحرار في فتح العملية الدلالية للنص وإغلاقها دون أي اعتبار بالمدلول لينالوا لذتهم من النص.[14]

٣– سيمياء الثقافة: استفاد أصحاب هذا الاتجاه من الفلسفة الماركسية وفلسفة الأشكال الرمزية لـــــ" كاسيرر" ومن أهم رواد هذا الاتجاه "لوتمان"،"ايفانوف"،"تودروف"، وفي إيطاليا " روسي لاندي " كانت نظرتهم للعلامة كبناء ثلاثي الأبعاد من: دال، ومدلول ، ومرجع، وهذا الأخير لا يفسر إلا في

[12] ينظر: معجم السيميائيات، فيصل الأحمر، ص 79/78.
[13] ينظر: مدخل إلى المناهج النقدية الحديثة، عبد الله إبراهيم وآخرون، ط2، المركز الثقافي العربي، المغرب، 1996م، ص84.
[14] ينظر: مدخل إلى السيميولوجيا، ص17/16.

إطار مرجعية الثقافة ، إذن العلامة عند أصحاب هذا الاتجاه لا تظهر إلا من خلال وضعها في إطار ثقافي، وهم لا ينظرون إلى العلامة المفردة بل يتكلمون عن أنظمة دالة على مجموعات من العلامات ولا يؤمنون باستقلال النظام الواحد عن الأنظمة الأخرى، سواء كان ذلك داخل ثقافة واحدة،كـــ(علاقة الأدب بالبنيات الثقافية مثل: الدين، الاقتصاد، ...الخ) وكذلك يحاولون الكشف عن العلاقات التي تربط تجليات الثقافة الواحدة عبر تطورها الزمني، أو بين الثقافات المختلفة، أو بين الثقافة، واللاثقافة، إذن هم يعتبرون الظواهر الثقافية موضوعات تواصلية وأنساق دلالية. [15]

*** الفرق بين المنهج السيميائي والمهنج السيميولوجي**

أولاً– خصائص المنهج السيميائي

بالرغم من تعدد جوانب المنهج السيميائي واتساع أصوله، إلا أنه يحتفظ بخصائص ومميزات عامة، ومن هذه الخصائص بإيجاز هي:–

١– السيمياء منهج داخلي محايث: أي يركز على داخل النص، وهدفه الأساسي توضيح شبكة العلاقات القائمة بين عناصر الدال من حروف وكلمات وعبارات، وذلك من منطلق بأن العلاقة التي تقوم بين العمل الأدبي ومحيطه الخارجي لا ترقى إلى مستوى تأسيس معنى عميق للنص، ويرى "لويس بانيي" بأن المحايثة مبدأ تقوم على التحليل بدورها تقوم على انقسام النص الأدبي إلى محتوى الـــ(معنى) و تعبير الـــ(مبنى)، وهذا المبدأ مستخلص من الدراسات اللسانية، فقد تحدث "دي سوسير" عن مبدأ الاستقلالية، ووظف "هيمسليف" في أبحاثه مبدأ المحايثة على اعتبار أن موضوع اللسانيات هو الشكل، لذلك لا حاجة إلى الاستعانة بما لا يرتبط بالشكل، ومن ثم وجب إقصاء كل واقعة "خارج الدرس اللساني " لما له من انعكاس سلبي على تجانس الوصف اللغوي.

٢– السيمياء منهج بنيوي: لأنه يستمد الكثير من مبادئه وعناصره من المنهج البنيوي اللساني، يقول صاحب "دليل الناقد الأدبي " إن التحليل السيميولوجي تبنى الإجراءات والمنهجية البنيوية التي أرساها " سوسير"، ويتضح ذلك أكثر من خلال الاستقراء عن بعض المصطلحات في التحليل السيميائي، مثل: البنية، والمستوى السطحي، والمستوى العميق والعلاقات، كل هذه المصطلحات ازدهرت مع النقد البنيوي الذي يهتم بالعلاقات الموجودة داخل النص.

٣– السيمياء متميز الموضوع: إذا كانت البنيوية تميزت بالقدرة على توليد الجمل، باعتبارها أكبر وحدة لغوية، فإن السيميائيات وخاصةً السردية تهتم بالقدرة الخطابية؛ أي ببناء الخطاب وتنظيمه. ولعل ذلك ما دفع بعض الدارسين إلى وسْم السيميائيات بصفة "النصية" [16].

[15] ينظر: مدخل إلى السيميولوجيا، عبيدة صبطي ونجيب بخوش، ص29.

[16] بتصرف: محاضرات في السيمولوجيا، محمد السرغيني، دار الثقافة، الدار البيضاء، ط1، 1987م، ص 55.

ثانياً– موضوع السيميائيات ومجالات التطبيق السيميولوجي

من خلال ما تقدم من التعريفات التي قدمت في مجال الدراسات السيميائية ، يتضح لنا أن "السميائيات" تتضمن العلامة، وأن "السيمولوجيا" هي علم العلامات ومنها: (الأيقون ، الرمز ، والإشارة)، ومن الصعب إيجاد لفظ دقيق للعلامة لاختلاف مدلولها من باحث للآخر، فعند "دي سوسير" تتكون العلامة من الدال والمدلول والمرجع، ولكنه استبعد المرجع لطابعه الحسي والمادي، واكتفى بالصورة الصوتية وهو (الدال)، والصورة الذهنية وهو (المدلول)،[17] كما اعتبر علم السيمولوجيا علمًا للعلامات التي تُدرس في حضن المجتمع، وهذا مما يؤكد لنا ارتكاز العلامة على مناحي الحياة منها ما هو لغوي ونفسي و اجتماعي، ونستنتج بأن العلامة في تعاريف جميع السيميائين كيان واسع، ومفهوم، قاعدي في جميع علوم اللغة. ومن هذا المفهوم تنقسم العلامات على نسقين: –

١– العلامات اللغوية المنطوقة: كـــــــ (الشعر، واللغة، والرواية ...).

٢– والعلامات الغير منطوقة: كـــــــ (الأزياء، الأطعمة، علامات المرور، الفنون الحركية، والبصرية كالسينما والمسرح ...) [18]

* **مجالات التطبيق السيميولوجي**

١– الشعر (مولينو رومان جابسكون، جوليا كرستينا، ميكائيل).

٢– الرواية والقصة (غريماس، كلود ريموند، بارت، تودوروف).

٣– الأسطورة والخرافة (فلاديميربروب).

٤– المسرح (هيلبو، كيرايلام).

٥– السينما (كريستيان ميتز، يوري لوتمان).

٦– الأزياء، والأطعمة، والأشربة، والموضة، (رولان بارت).

٧– التشكيل وفن الرسم (لويس مارتان هوبرت، داميش).

٨– الثقافة (يوري لوتمان، إيفانوف، روسي لاندي).

٩– الصور الفوتوغرافية (رولان بارت في العدد الأول من مجلة التواصل).[19]

[17] بتصرف: مدخل إلى مناهج النقد المعاصر، بسام قطوس، ط1، دار الوفاء، الإسكندرية، 2006م، ص 196.

[18] ينظر: محاضرات في السيميولوجيا، عبد الرحمن بو علي، أُلقيت على طلبة الإجازة بكلية الآداب، بوجدة، سنة: 2005-2006م.

[19] ينظر: (السيميائيات بين التوحد والتعدد، الحوار الأكاديمي والجامعي)، مبارك الحنون، العدد 2، فبراير: 1988م، السنة 1.

ثالثاً– تطبيق المنهج السيميائي على نص أدبي

ولمعرفة المنهج السيميائي بأنه علم العلامات؛ فلابد من تحليل نص أدبي ومعرفة العلامات من خلال تحليل القصيدة، إذن سأتناول تحليل قصيدة البردة "لكعب بن زهير" التي مدح فيها النبي محمد صلى الله عليه وسلم وطلب منه الصفح، وتعدّ من أشهر القصائد في المدح وقد افتتح كعب بن زهير قصيدته بمقدمة طللية "بانت سعاد اليوم"متبعًا في ذلك عادة العرب آنذاك إذ كانوا يقدمون قصائدهم بذكر المحبوب.

النص لقصيدة "بانت سعاد" لكعب بن زهير:–

بانت سعاد فقلبي اليوم متبول متيم إثرها لم يفد مكبول

وما سعاد غداة البين إذ رحلوا إلا أغن غضيض الطرف مكحول

هيفاء مقبلة، عجزاء مدبرة لا يشكي قصر منها ولا طول

تجلو عوارض ذي ظلم إذا ابتسمت كأنه منهل بالراح معلول

شجت بذي شبم من ماء ...إلى آخر القصيدة.

المقدمة: (لفهم معاني الأبيات، وسبب تسمية القصيدة بالبردة).

عندما بعث الرسول صلى الله عليه وسلم وأخذ يدعو إلى الإسلام، انطلق كعب بن زهير بن أبي سلمى ، وأخوه بجير، يستطلعان أمر هذا الدين الجديد حتى بلغا "أبرق العزاف" وهو ماء في الطريق إلى المدينة، فقال كعب لبجير: الق الرجل، فأنا مقيم لك ها هنا، وانظر ماذا يقول لك، فقدم بجير على رسول الله صلى الله عليه وسلم، فبلغ ذلك كعبًا ، وكان ندم على رغبته في الإسلام، فهجا رسول الله ونال من أعراض المسلمين، فلما بلغ ذلك الرسول عليه الصلاة والسلام، أهدر دمه، فكتب بجير إلى أخيه ليخبره الخبر، وعندما فتح المسلمين مكة ، كتب بجير إلى أخيه يأمره أن يأتي إلى الرسول صلى الله عليه وسلم، ويبايعه على الإسلام ، فأقبل على رسول الله بعد ما ضاقت عليه الأرض بما رحبت، وكان ملثما بعمامته ، فقال : يا رسول الله، هذا رجل يبايعك على الإسلام، فبسط عليه السلام يده فحسر كعب عن وجهه، وقال : هذا مكان العائذ بك يا رسول الله، أأنا كعب بن زهير، فتجهمته الأنصار، وأغلظت له، لما كان منه، وأرادت الفتك به، و أحب المهاجرون أن يسلم، ويؤمنه الرسول عليه السلام، فأمنه ، فأنشد هذه القصيدة، فكساه الرسول بردةً، فسميت هذه القصيدة (البردة).

*** التحليل السيميائي للنص**

١– سيميائية العنوان: يتحدث العنوان عن بردة، وهي الثوب المخطط، وهذه البردة كانت أصلا لرسول الله صلى الله عليه وسلم، ولكنه كساها كعب بن زهير؛ فسميت: "بردة كعب بن زهير".

يتضح من سيميائية العنوان: أهمية البردة التي سميت بها القصيدة، وتكمن أهميتها؛ لأنها حولت حياة كعب بن زهير من إنسان معدور الدم، إلى إنسان معزز مكرم، قد نال على رضا الرسول صلى الله عليه وسلم بعد أن كساه بردته. فهذه البردة تدل على علامة (الرضا، والأمن، والأمان، والسلامة، والإسلام).

٢– سيميائية الأسماء: استهل الشاعر قصيدته بذكر "سعاد"، وأغلب الظن أن "سعاد" ليست شخصية حقيقية، ومن الملاحظ أن اسم "سعاد" لم يستعمله الشعراء الجاهليون إلا في المدح، أمثال (الأعشى، أبي

نواس، ...) لأن بمديحهم ينالوا ما يريدون من الجوائز والعطايا، هنا في القصيدة يبن لنا كعب بن زهير أنه نال السعادة والشرف والرضا من رسول الله صلى الله عليه وسلم. فذكر اسم "سعاد" علامة لمدح رسول الله صلى الله عليه وسلم.

٣- سيميائية البناء الداخلي للشخصيات: وردت في القصيدة عدة شخصيات هي على الترتيب: سعاد، الناقة، الوشاة، الشاعر نفسه، أصدقاء الشاعر، رسول الله صلى الله عليه وسلم، المسلمون المهاجرون. فلكلّ من هذه الأسماء التي ذكرت في القصيدة لها علامة تدل على معنى.

٤- سيمياء البناء الخارجي للشخصيات: وردت في القصيدة أوصاف خارجية لكل من: سعاد والناقة التي حملتها إلى البلاد التي ذهبت إليها بعد رحيلها من بلد الشاعر. جعل لكل من هذه الشخصيات صفات خارجية جميلة علامة تدل، على الغرض الرئيسي من القصيدة وهو (المدح).

٥- سيميائية الزمان والمكان: العلامة المكانية: حدثت أحداث هذا النص بعد فتح مكة، وكان المسلمون في أوج قوتهم وعزتهم، فليس أمام كعب بن زهير إلا أن يندم عما بدر منه تجاه رسول الله والمسلمين، ويطلب العفو ويعترف بالإسلام.

*** العلامات الزمانية**

١- فترة ما قبل الرحيل محبوبته "سعاد" حيث كان يعيش في أمن واستقرار، وهي علامة: تدل قبل أن يأمر الرسول صلى الله عليه وسلم بهدر دمه.

٢- فترة رحيل محبوبته "سعاد" حيث المعاناة والآلام النفسية التي عاشها، وهي علامة: تدل عندما أمر الرسول صلى الله عليه وسلم بهدر دمه.

٣- الفترة التي ألقى فيها القصيدة على رسول الله صلى الله عليه وسلم وكانت بحضرته عليه السلام في المدينة المنورة، في المسجد النبوي عاصمة الدولة الإسلامية، هنا نلاحظ تعاضد علامة الزمان وعلامة المكان في إبراز الدواعي التي جعلت الشاعر يُلقي القصيدة.

٤- سيميائية الأحداث الواردة في النص: هنا علامات تدل على معاني القصيدة بذكر الأحداث التالية: وصف محبوبته، بأوصاف حسية غاية في الجمال، ولكن صفاتها المعنوية تختلف عن ذلك، فهي تخلف الوعد، ولا تقبل النصيحة، وهنا علامة يشير بها الشاعر بأن سعادته قبل الإسلام ظاهرها جميل كمحبوبته وفي الحقيقة عكس ذلك، كالصفات المعنوية لمحبوبته.

٥- ثم يتحدث الشاعر عن وصول "سعاد" لبلد بعيد ولا يمكن الوصول إليها، وأن عودتها ليس بالأمر الهين، ولا يقدر عليه إلا الكريم، علامة تدل على رسول الله صلى الله عليه وسلم.

٦- ويذكر أيضا الوشاة الذين خوفوه وقالوا له: أنك مقتول لا محالة، وهنا علامة: الذين لم يسلموه وربما يقصد الأنصار الذين أرادوا الفتك به لولا عفو رسول الله صلى الله عليه وسلم.

٧- اتضحّ ليّ من خلال التحليل السيميائي للقصيدة: بأن كل ما ذكر في القصيدة من أسماء وشخصيات وصفات وأحداث، وزمان، ومكان أنما هي علامات تدل على دلالات لغرض القصيدة.

*** الخاتمة**

توصلت من خلال هذه الدراسة إلى مجموعة من النتائج المتعلقة بالمنهج "السيميائي"، وهي: -

١- أن أول من أشار إلى ولادة علم جديد يدرس العلامات من خلال الحياة الاجتماعية "دي سوسير".

٢- أكد "دي سوسير" بشكل كبير أهمية العلامة داخل نظامها في النص.

٣- أن السيمياء ظهر واضح الملامح قديمًا عند العرب في علم الدلالة.

٤- ظهرت السيميائية في النقد العربي عن طريق الترجمة والثقافة والاطلاع على الإنتاج الأدبي الأوروبي.

٥- "دي سوسير" أصل النظرية السيميولوجية، و"بيرس" أصل المنطق السيميائي.

٦- أن السيميائية تنقسم إلى قسمين: السيميائية اللغوية، والسيميائية الغير لغوية.

٧- أن هناك علامات لغوية منطوقة، وعلامات غير منطوقة تشمل جوانب الحياة.

وأخيرًا أتمنى أن أكون قد وفقت في عرض الموضوع بشكل جيد وأن ينال استحسانكم، والحمدلله والصلاة والسلام على أشرف الأنبياء والمرسلين.

*** المراجع**

علم السيمياء التراث العربي، د. بلقاسم دفّة، العدد (91) ــ (رجب)ــ (سبتمبر) 2003م.

محاضرات في السيمولوجيا، محمد السرغيني، دار الثقافة، الدار البيضاء، ط1، 1987م.

مدخل إلى مناهج النقد المعاصر، بسام قطوس، ط1، دار الوفاء، الإسكندرية، 2006م.

سيميائية الصورة، قدور عبد الله الثاني، ط1، دار الغرب للنشر والتوزيع، الجزائر، 2005م.

منتدى دراسات علوم اللسان العربي، 2016م.

السيميائيات بين التوحد والتعدد، الحوار الأكاديمي والجامعي، مبارك الحنون، العدد 2، فبراير: 1988م، السنة 1.

الاتجاه السيميائي في نقد السرد العربي الحديث، محمد فليح الجبوري، ط1، الجزائر، 2013م.

لسان العرب، ابن منظور، ط4، دار صادر، بيروت،2005.

ماهي السيمولوجيا، برنار توسان، تحقيق: محمد نظيف، ط2، 200م، أفريقيا الشرق.

مدخل إلى السيميولوجيا، عبيدة صبطي ونجيب بخوش، دار الخلدونية الجزائر.

مدخل إلى المناهج النقدية الحديثة، عبد الله إبراهيم وآخرون، ط2، المركز الثقافي العربي، المغرب، 1996م.

معجم السيميائيات، فيصل الأحمر، الدار العربية للعلوم.

محاضرات في السيميولوجيا، عبد الرحمن بو علي، أُلقيت على طلبة الإجازة بكلية الآداب، بوجدة 2006م.